شهر يوليو (تموز) من وجهة نظر علمية

د/ أحمد بن حامد الغامدي

2021-07-04

منذ منتصف القرن الثامن عشر ومنذ عهد الملك الإنجليزي جورج الثاني درج ملوك وملكات التاج البريطاني على الاحتفال بأعياد ميلادهم في فترة الصيف حيث الأجواء أكثر صفاءً وبهجة وملائمة للفرح الملكي من أوقات أعياد ميلادهم الأصلية التي قد تكون في الشتاء الكئيب.

حرارة الصيف وعنفوان النشاط البشري في تلك الأجواء شهدت (ولادة) كبرى الجمهوريات والدول في التاريخ الحديث حيث شهد شهر يوليو (الذي نحن فيه الآن) انبثاق الجمهورية الفرنسية بعد ثورة اقتحام الباستيل في 14 من هذا الشهر لعام 1789م وكذلك (ولادة) الأمة الأمريكية في 4 من يوليو من عام 1776ميلادي.

يوماً ما صك الأديب الإنجليزي الفريد وليم شكسبير عبارة (مرحا لهذا العالم الجديد الشجاع) ولهذا أصبحت هذه الجملة تستخدم بكثرة في توصيف أي أفكار أو ابتكارات جديدة وواعدة.

ومن هنا قام الكاتب الإنجليزي المرموق ألدوس هكسلي بتوظيف هذه العبارة كعنوان لروايته المشهورة (عالم جديد شجاع Brave New World) والتي تدور عن سيطرة العلم والتقنية في المستقبل على حياة البشر وبالذات في مجال (تقنية الولادة). مستهل تلك الرواية ركز على الطرق المستقبلية لتحديد النسل وتكوين الأجنة في أجهزة خاصة والتحكم بعملية الولادة من خلال إنتاج أطفال محددي الصفات والوظائف ضمن فئات محددة مسبقا.

رواية الخيال العلمي هذه أصدرت عام 1931م ونسجت أحداثها على أنها تقع بمدينة لندن عام 2540م ولكن الغريب في الأمر أن بعض الأفكار العلمية المطروحة في هذه الرواية ذات التأثير الأدبي والعلمي الفائق (صنفت خامس أهم رواية عالمية نشرت في القرن العشرين) ظهرت بعد نصف قرن فقط (وليس نصف ألفية) من ظهورها.

وبالعودة لحرارة الصيف في شهر يوليو نجد أنه في العلم والتقنية كما في عالم السياسة والتاريخ (ولدت) العديد من الاكتشافات والابتكارات العلمية المذهلة والتي كلا منها يُعد بحق (عالم جديد وشجاع).

عبر تاريخ البشرية كانت عمليات الإنجاب والتوليد تتم بتكرارية ثابتة وتقليدية رتيبة متواصلة حتى حصل التغير الهائل في طريقة الولادة الدموية المسماة (العملية القيصرية). كما هو معلوم يشتهر نسبة تقنية الولادة القيصرية إلى الإمبراطور الروماني يوليوس قيصر الذي وإن لم يكن أول من ولد بهذه الطريقة، ولكنه كان أشهر وأهم شخصية أرتبط بها بشكل موثق في كتب التاريخ حيث ذكر ذلك المؤرخ الروماني بليني الأكبر في كتابه (التاريخ الطبيعي) أن اسم يوليوس قيصر جاء من أحد أجداده الذي ولد بواسطة جراحة قيصرية.

كلمة التشريح والتقطيع باللغة الرومانية القديمة هي Caesar ومن هنا أصبحت كلمة سيزر (القيصر) هو لقب أباطرة الرومان والأهم من ذلك ارتباط هذه الحادثة بشهر يوليو والذي سمي كذلك لتكريم القيصر يوليوس الذي (ولد) في هذا الشهر.

الحدث الأبرز التالي في دنيا الولادة والذي حصل في شهر يوليو هو بداية ما توقعه ألدوس هكسلي في رواية عالم جديد وشجاع وهو استخدام الأجهزة والزجاجيات المعملية في إنتاج الأطفال أو بمختصر العبارة ظهور الطفرة العلمية المتمثلة (بأطفال الأنابيب).

في الخامس والعشرين من شهر يوليو من عام 1978م ولدت الطفلة الإنجليزية لويز براون لتصبح أول طفلة أنابيب Test Tube Baby وبهذا حصل لأول مرة في تاريخ البشرية تلقيح اصطناعي خارج جسم الإنسان حيث تمت عملية الإخصاب في وعاء زجاجي (وليس أنبوب كما يشاع) يسمى طبق بتري.

الجدير بالذكر أنه بعد عملية التخصيب تلك للبويضة التي تستمر لمدة خمسة أيام، يتم زراعة البويضة المخصبة داخل الرحم، وفي حالة لويز براون ولدت بعملية قيصرية وبهذا اجتمع في شهر يوليو من ذلك اليوم وفي لحظة واحدة أعجب عمليتي إنجاب في التاريخ.

بقي أن نقول إنه حتى الآن تم (ولادة) أكثر من تسعة ملايين طفل أنابيب كان يستحيل ولادتهم بالطرق العادية ولهذا لا غرابة أن يحصل عالم الأحياء البريطاني روبرت إدوارز مطور هذه الطريقة (الجديدة والشجاعة) في عملية التوليد على جائزة نوبل في الطب لعام 2010ميلادي.

الإنجاز العلمي الهائل الذي (ولد) في شهر يوليو ويعتبر بحق مثال للعالم والعلم الجديد والشجاع هو الإعلان يوم الخامس من شهر يوليو لعام 1996م

عن ولادة النعجة دوللي وهي أول حيوان يتم ولادته من خلال تقنية الاستنساخ.

الطريف في الأمر أن عالم الأجنة الإنجليزي إيان ويلموت الذي طور عملية استنساخ الأجنة للحيوانات الثديية في معهد روزلين بجامعة إدنبرة كان مولوده في السابع من شهر يوليو أي أن عيد ميلاده يتوافق نسبيا مع عيد ميلاد نعجته فائقة الشهرة.

الجدير بالذكر أن تقنية علمية وطبية أخرى فائقة الأهمية في تاريخ البشرية أُعترف بها بشكل رسمي في شهر يوليو من عام 1990م وهي تقنية العلاج الجيني وما يهمنا هنا الإشارة إليه أن هذه التقنية الطبية المذهلة استخدمت لإحداث ثورة هائلة وجديدة في عالم الولادة.

بعض الأطفال في حالة ولادتهم بشكل طبيعي قد يكونون معرضين للإصابة بأمراض وراثية قاتلة وهنا تم استخدام تقنية (العلاج الجيني) لإعادة الهندسة الوراثية لبعض الأجنة البشرية وبالتالي إنتاج وإنجاب أطفال بمواصفات حسب الطلب.

في أشهر الصيف من عام 2000م تم الإعلان عن ولادة الطفل الأمريكي آدم ناش وهو أول طفل مصمم designer baby بمعنى أنه طفل معدّل وراثيا وتم تصميم جيناته لتفادي حصول أمراض وراثية خطيرة.

وتقريبا في نفس تلك اللحظة التاريخية من صيف عام 2000م وبالتحديد في يوم السابع من شهر يوليو تم نشر المسودة الأولية من نتائج وبيانات المشروع العلمي الكبير المتمثل في تحديد الخارطة الجينية (مشروع الجينوم البشري).

وبتضافر هذه الإنجازات العلمية والطبية الكبرى مثل العلاج الجيني والجينوم مع الاستنساخ وأبحاث الخلايا الجذعية حصلت طفرة علمية كبرى في محاولة ضمان صحة البشر وبالذات المواليد الجدد.

ومن هنا نصل إلى سؤال عنوان المقال (هل شهر يوليو/تموز شهر للوفاة أم الولادة) وربما الإجابة من الناحية العلمية والطبية واضحة ومباشرة أن هذا الشهر بالذات شهد العديد من الإنجازات الطبية المذهلة التي ضمنت بقدر الله ومشيئته إمكانية ولادة عشرات الملايين من الأطفال الذين كان مصيرهم الموت المحتمل لولا اكتشاف هذه التقنيات العلمية الجديدة.

بقي أن نقول إن شهر يوليو يطلق عليه في بعض بلدان المشرق العربي مثل العراق وبلاد الشام اسم شهر (تموز) وذلك وفق طريقة التسمية السريانية. وبحكم أن شهر يوليو/تموز هو أحد أكثر شهور السنة حرارة ولذا يقول أهلنا في الشام (بتموز تغلي المي بالكوز) وهي الأجواء الضارة بالنباتات والحياة إجمالاً.

وفق الأساطير البابلية القديمة يعتبر الإله تموز رمز للوفاة والهلاك وذلك لأنه في هذا الشهر يموت عندما تكون الأرض جافة وقاحلة وتنقطع مواسم الزراعة. وقديما كانت تقام مراسم الحداد والنياحة على تموز في أرض سومر خلال أشهر الصيف لأنهم كانوا يعتقدون أن هذا الإله المزعوم ينزل إلى العالم السفلي لمدة ستة أشهر ثم يعود مع بداية الربيع مع حبيبته عشتار.

شهر يوليو الساخن من خلال العلم ارتبط بالحياة والولادة والنماء بينما كان شهر تموز وفق الجهل والخرافات رمز لانقطاع الحياة والعدم والوفاة.

السبت 3 من يوليو 2021

تواصل مع الكاتب: ahalgamdy@gmail.com

يسعدنا أن تشاركونا أرائكم وتعليقاتكم حول هذهِ المقالة عبر التعليقات المباشرة بالأسفل

أو عبر وسائل التواصل الإجتماعي الخاصة بالمنظمة

=src =src =src rc